الصوفية وجمهور علماء المسلمين

إعداد
د. سعيد إسماعيل صيني

١٤٣٢هـ

قائمة المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد الخلق وأشرف المرسلين وبعد.

سألني أحدهم في زيارة لي في فرنسا: ما حكم الصوفية في الإسلام؟ قلت: لا أستطيع الإجابة حتى أعرف ماذا تقصد ب"الصوفية"؟ فمدلول كلمة الصوفية يتدرج بين مجموعة معتقدات وعبادات تندرج كلها في الإسلام وتمثل درجة من الزهد في الدنيا عالية، وبين مجموعة من المعتقدات والعبادات بعضها تخرج المسلم من ملة الإسلام بدون شك.

فكلمة صوفي قد تطلق على بعض الزهاد المنقطعين عن الدنيا إلا ما يعينهم على التفرغ للعبادة والذكر المشروع، لا يتجاوزونها. وقد تُطلق كلمة صوفي على بعض الدراويش من حيث الملبس والمسكن وربما المأكل، ولديهم بعض المعتقدات أو يمارسون بعض أشكال الطقوس التي لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه رضوان الله تعالى عليهم. وقد تُطلق على إنسان يقول بأنه مسلم، ولكنه يعتقد في أشياء لا تليق بالله سبحانه وتعالى وتؤدي إلى الإلحاد حتما. ومثال ذلك: تصوير علاقة الإنسان المخلوق بخالقه سبحانه وتعالى وكأنها علاقة العاشق بمعشوقته ويستخدم في تصوير هذه العلاقة مفردات مثل السكر والخمارة والوصال، أو يعتقد أنّ "الحق" (أي الله في اصطلاح الصوفية) يحتاج إلى الخلق كما أن الخلق يحتاج إلى الله. وبطريقة غير مباشرة يصم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قصّر في تبليغ الرسالة، بالسكوت عن بعض أركان الإيمان وبعض أركان الإسلام.

ومن زاوية أخرى، قد أثبت التاريخ أن بعض المنتسبين إلى

الصوفية قاموا بدور ملحوظ في الحفاظ على الإسلام (في المناطق التي خضعت للشيوعية خاصة) وفي التصدي للاستعمار الغربي (في الشمال الأفريقي).

ملاحظات عامة على كتب الصوفية:

يلاحظ المدقق في كتب الصوفية بصفة عامة ما يلي:

١. لا يخلو مؤلف صوفي شامل من الحث على التمسك بالكتاب والسنة، والتمسك باعتقاد أهل السنة والجماعة وعلى ضرورة تحريم الحرام وإباحة الحلال، وعلى أداء الفروض والإكثار من نوافل العبادات، وعلى الزهد في الدنيا والحرص على ابتغاء مرضاة الله وعلى حسن الخلق. وهذا الحث يأتي بصورة إرشادات مباشرة أو في هيئة قصص مروية. وفي الوقت نفسه لا يخلو كتاب صوفي من معتقدات أو تعاليم تنحرف عن التعاليم الإسلامية بدرجات متفاوتة تتراوح بين الاستشهاد وتقديس بعض الشخصيات الصوفية التي يُخرجها أقوالها من الملة، وبين ترديد بعض المعتقدات أو التعاليم التي تتعارض مع التعاليم الإسلامية تماما. وكثيرا ما تختلط المضمونات المتعارضة في هذه الكتابات بصورة يصعب الفصل بينها.([١]) فالمؤلف قد يستشهد بقول لأحد الصوفية لا يقره الإسلام في موضع، وفي موضع آخر يستشهد بقول ينكر فيه الصوفي نفسه أو آخر على مضمون الاستشهاد الأول.

٢. يصعب إصدار تعميم واحد يشمل الصوفية كلها، مثل القول بأن الصوفية لا تخرج من الملة الإسلامية حتى بالنسبة للطريقة الواحدة. كما يصعب القول بأن جميع أتباع الطريقة الواحدة يعرفون جميع معتقداتها ويتبنونها ويمارسون معظم طقوسها.

٣. معظم الأتباع يصدقون ويرددون ما يسمعونه من مشايخهم

---

(1) ولعل أبرز مثال الكتاب المنسوب إلى عبد القادر الجيلاني المسمى "فتوح الغيب". ص ٨٩، ٩٠، ٩٢.

بحسن نية. وكثير منهم لا يعرفون أو يفهمون إلا القليل من المعتقدات الموجودة في كتب الطائفة، ولاسيما تلك التي قد تُخرج المسلم من الملة. وقد يقتصر كثير من الأتباع على الانتساب بالاسم والأخذ ببعض أنواع الذكر واتباع بعض الطقوس والشعائر. ولو اطلع بعضهم على المعتقدات التي تتعارض صراحة مع نصوص القرآن الكريم والسنة الموثقة والفطرة السليمة فإنهم إما أن يرفضوها أو لا يكترثوا بها، إما استخفافا بها أو تكذيبا لها. وقد تنطلي عليهم كذبة أن "الخواص" لهم عالمهم الخاص الذي لا يفهمه المبتدئون.

منهج الكتاب:

ينطلق هذا الكتيب من اعتبار أغلبية الصوفية اخوة مسلمين إلا من يثبت عليه الإصرار على ما يخرجه من الملة، بعد تعريفه بالحق بطريقة مناسبة. كما ينطلق من مبدأ حبهم وحب الخير لهم وكراهية الشر لهم في الدنيا والآخرة. وتوجب لهم هذه الأخوة الإسلامية حق النصح وحق التذكير. يقول تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم}[2] ويقول تعالى: {وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}[3] فالمؤمنون ينتفعون بالتذكير أما غيرهم فقد لا ينتفعون به.

وعند تأليف هذا الكتيب سيتم اتباع القواعد التالية:

أولا - استعراض المعتقدات الرئيسة والطقوس التي تتضمنها المؤلفات الصوفية ويمارسها بعض الصوفية مع توثيق مصادرها دون تعميمها على الصوفيين جميعا.

ثانيا – تركيز المناقشة على المعتقدات والطقوس وليس على مشايخ الصوفية المنسوبة إليهم تلك المعتقدات أو الطقوس. فالمؤلف

(2) سورة التوبة: ٧١.

(3) سورة الذاريات: ٥٥.

يشك في نسبة كثير منها إلى بعض كبار الزهاد، ولا يعتقد أن جميع أفراد الطائفة المحددة يؤمنون بالمعتقدات المنحرفة في المؤلفات المنسوبة إلى الطريقة التي ينتسبون إليها، وذلك للأسباب المذكورة سابقا.

ثالثا – مناقشة معتقدات الصوفية وطقوسها في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وفي ضوء فهم جمهور علماء المسلمين لهما، وفي ضوء بعض تعاليم الصوفيين أنفسهم إضافة إلى الفطرة السليمة.

وأشكر الله الخالق المنعم على عونه وتوفيقه. ثم أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، ولاسيما بتوفير المراجع اللازمة أو مراجعته وتقديم المقترحات المفيدة. وأسأل الله أن يلهمنا الصواب وأن يجعلنا من الذين يهمهم أمر عباد الله، ولاسيما مصائرهم في الحياة الأبدية، وأن يحسن مثوبتنا في الدارين.

المؤلف

سعيد إسماعيل صيني

١٤٣٢/٠٤/٠٩هـ

المعرفة الصوفية

للصوفية مصادر خاصة، ومصادر يشتركون فيها مع جمهور علماء المسلمين، ولكن يختلفون أحيانا في طريقة التعامل مع بعض النصوص الإسلامية المقدسة المشتركة.

مصادر المعرفة الصوفية:

يُعد من مصادر التعاليم الدينية والمعرفة عند الصوفية: القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والتلقي عن الله مباشرة (الكشف، الذوق، الأوهام)، وعن النبي صلى عليه وسلم مباشرة في اليقظة أو في المنام.

يعتبر ابن العربي "الكشف" أو "الذوق" مصدرا مساويا لما ينقله الأنبياء، بل أفضل، حسب قوله، لأنه يُدرك بالذوق ما لا يُدرك ب"الأخبار" [الوحي]، ويدرك بالأخبار ما لا يدرك بالفكر[بالعقل] . يقول هناك "موجودات لا يصح إدراكها إلا بطريق الكشف وأخبار الصادق عن الله. لا غير. لا بالفكر كما زعموا..." ويضيف ".... والأخبار أيضا يقصر عن إدراك ما لا ينال إلا بالذوق. فلم يبق العلم الكامل إلا في التجلي الإلهي وما يكشف الحق عن البصائر."(٤)

ويتحدث ابن عربي عن معارف الصوفية فيقول "وهو علم غريب ومسألة نادرة لا يعلم تحقيقها إلا أصحاب الأوهام، فذلك بالذوق عندهم."(٥) ويعتبر الأوهام مصدرًا أعلى من العقل إذ يقول "... كانت الأوهام أقوى سلطانا في هذه النشأة من العقول."(٦)

(4) ابن العربي، ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٧٣، يلاحظ أن ابن عربي أحيانا يكتبه البعض بان العربي، وهو مشهور بلقب "محيي الدين"، ولكن اسمه محمد بن علي، بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي (انظر عفيفي ص ج١: ٥؛ لوج ص ج١: ٥٢٦) الدرة البيضاء ص٣٢؛ فصوص ص ج ١: ١٣٣.

(5) ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٧٧.

(6) ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٨١.

وأما جمهور علماء المسلمين فيؤكدون بأن الكشف والذوق أو الإلهام أو الأوهام لا قيمة لها في أمور العقيدة أو العبادات أو التشريعات، بصفة خاصة.

ويجعل ابن عربي ما يصل إليه الشيخ الصوفي من معرفة بالكشف مصدرا لا يصل إليها العلماء إذ يقول "كما يصل الصالح إلى إظهار ما يعجز العقول عن قبوله في الحسن. فلا جرم أن يُعطى القوة في الفهم إلى حد يقف دونه علم العلماء."(٧)

ويناقض ابن عربي نفسه، حيث يقول بأن كتابه مصدره الأخبار، مع أنه يقول فيه أن الذوق والأوهام أعلى من الأخبار، أي بواسطة مخلوق بينه وبين الحق (الله) عند الصوفية. فهو يدعي بأنه في ١٠ محرم سنة ٦٢٧هـ "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم...وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به... فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول الله، بلا زيادة ولا نقصان. " ثم يقول "فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا". (٨)

أما جمهور علماء المسلمين فيؤمنون بأن القرآن هو المصدر الأساس الأول وقد نزل به الوحي، وأن السنة الموثقة المصدر الأساس الثاني. ويؤمنون بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو مصدر المعتقدات والعبادات والتشريعات والأخلاق، وهو القدوة ومن بعده الصحابة. ولم يمت عليه الصلاة والسلام إلا وقد بلّغ كل ما يحتاجه المسلم ليدخل الجنة وينجوا من النار، سواء في هيئة تعاليم مفصلة أو قواعد عامة. وذلك مصداقا لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ

(7) ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٧٣.

(8) ابن عربي، فصوص ص ج١: ٤٧- ٤٨.

مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. (9)

ويؤمن جمهور علماء المسلمين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم تلقى الوحي عن طريق جبريل، وليس عن الله مباشرة، وأنه لا ينطق عن الهوى وأنه وحده الذي يُقبل إلهامه واجتهاده بصفتها تعليمات ربانية ملزمة. وهي ملزمة لأنه عليه الصلاة والسلام إن أخطأ في اجتهاداته ينزل عليه الوحي من الله تعالى بتصحيحه. وحتى إلهام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لم يكن ملزما، واجتهادات الخلفاء الراشدين ملزمة ما لم تستند بوضوح إلى الكتاب والسنة.

فالله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً.}(١٠) فجعل طاعة أولي الأمر مبنية على طاعته عز وجل وطاعة رسوله.

كل إنسان يمكنه أن يدعي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أو في الصحو وأنه تعلم منه شيئا، وفي المقابل يستطيع كل إنسان أن يدعي رؤية النبي وتعلمه شيئا يُكذّب ما قاله الآخرون. فمن نصدق الذي يدعي أن الرسول علمه ذكرا محددا أو الذي يدعي أن الرسول قال له بأن المدعي الأول كذاب؟

التعامل مع نصوص الكتاب والسنة:

تقول نظرية الحلول عند الصوفية، أنه الله يحل في مخلوقات – تعالى الله عما يصفون. ومؤيدا عقيدته هذه يعلق ابن عربي على قوله تعالى {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني}(١١) فيقول "إذ لا يكون مجيبا إلا إذا كان هو من يدعوه، وإن كان عين الداعي عين المجيب. فلا خلاف في اختلاف الصور... وتلك

(9) سورة المائدة: ٣.
(10) سورة النساء: ٥٩.
(11) سورة البقرة: ١٨٦.

الصور كلها كالأعضاء لزيد. فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة شخصية، وأن يده ليست صورة رجله ولا رأسه ولا حاجبه... فهو وإن كان واحدا بالعين، فهو كثير بالصور والأشخاص."(١٢)

ويحرف ابن عربي مدلول الحديث القدسي التالي ليتسق مع عقيدته الإلحادية عقيدة الحلول ووحدة الوجود فيقول "فذكر أن هويته هي عين الجوارح التي هي عين العبد. فالهوية واحدة والجوارح مختلفة."(١٣) والحديث القدسي يقول "قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ قال من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه. وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ. (١٤)

أما المدلول الذي عليه علماء المسلمين هو أن المسلم عندما يؤدي ما افترضه الله عليه ثم يُكثر من النوافل فإن الله يمن عليه بأن يجعل سلوكه مطابقا لما يريده الله في كل شيء. فأفعاله وأعضاؤه طوعا لما يحبه الله ويرضاه. وهو تعبير في قمة البلاغة، يليق برب العالمين، قد يشتبه مضمونه على البسطاء فيستغله المنحرفون.

بيد أنه لا ينبغي لأحد أن يتألى على الله فيقول إن الله يحبني وضمن لي ما وعد في هذا الحديث القدسي. فالرسول صلى الله عليه وسلم، مع جهاده وأعماله وقربه من الله باعتباره خليلا لله، لا يضمن الجنة بعمله. يقول عليه الصلاة والسلام "لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قالوا ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لا، ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ. فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا".(١٥)

(12) ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٨٣-١٨٤.
(13) ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٠٧.
(14) صحيح البخاري ج٥: ٢٣٨٤.
(15) صحيح البخاري ج٥: ٢١٤٧.

ومؤيدا نظرية الحلول يفسر النابلسي قوله تعالى {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} بأن الله يخبر بأن محمداً هو الله، تعالى عما يصفون، وأن اليد التي مُدّت للبيعة هي يد الله. ويقول في تفسير قوله تعالى لموسى {وأنا اخترتك} بقوله "بأن تكون أنا وأكون أنا أنت، فاستمع لما يوحى إليك. وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه، يحدثها وتحدثه".(١٦) فأي جرأة هذه على تحريف كلام رب العالمين، بديع السماوات والأرض؟

نسبة الصوفية إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول صوفي عن منشأ الصوفية "أما واضعه فهو النبي صلى الله عليه وسلم. وهو مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين."(١٧)

ولم يثبت هذا الادعاء عند جمهور علماء المسلمين، مع حرصهم على جمع السنة النبوية الموثقة، فكيف وقع عليه الشعراني وغيره من الصوفية، بعد قرون عديدة؟

ويعتقد الصوفيون بأن انقطاع السند لا يؤثر في صدق الرواية التي يؤمنون بها، إذ يمكن للشيخ وراثة الطريقة من آخر لم يدركه. يقول المجددي "الطريقة النقشبندية المجددية المشهورة التي وصلت بواسطة سيدنا أبي يزيد البسطامي عن سيدنا الامام جعفر الصادق. فهي أويسية لأن سيدنا أبا يزيد البسطامي لم يدرك جعفر الصادق وسيدنا أبو الحسن لم يدرك سيدنا أبا يزيد البسطامي بل حصلت الاستفادة لهما من روحانيتهما، وذلك مقبول عند مشايخ الصوفية."(١٨) فهل يقبل العاقل هذا الكلام الذي يمكن أن يدعيه أي مفتري؟

وتدعي الصوفية بأن النبي صلى الله عليه وسلم علّم الصوفية لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما، وأخفاها عن آلاف الصحابة، وخفيت على

(16) بدوي، شطحات الصوفية ص ١٥٣، نقلا عن الوكيل ص ٥٩.
(17) حسن، رسالة ص ٣٧ ويستند إلى شرح رانية هامش ص ٢٥-٢٨.
(18) المجددي ص ١١٢.

جيل التابعين والأجيال التالية لهم إلا قليلا ممن تدعي الصوفية معرفتهم بها. وبهذا تتهم النبي صلى الله عليه وسلم بإخفاء علم يزعمون أنه ضروري كما يرد. ثم اكتشفت الصوفية هذا النقص المزعوم في التعاليم الإسلامية، بعد قرون متعددة. ألا يشبه هذا الزعم أن يدعى أحد الأشخاص من الجيل الرابع أو الخامس بأن الجد الميت الكبير للأسرة أخبره في المنام أو أنه رأى الميت في اليقظة وسلّم عليه، وقال له "هناك نقص في الوصية. وهذه تكملتها أو أن هناك خطأ في الوصية. وهذا تصحيحها؟ إذا كنت من أفراد هذه الأسرة هل تقبل مثل هذه الدعوى، ولاسيما إذا كانت للمدعي مصلحة شخصية في هذه الدعوى، مثل الثروة أو الجاه؟

وجوب العلم الصوفي على المسلم:

يقول صوفي اعتمادا على عدد من مؤلفات الصوفية "إن علم التصوف فرض عين على كل مكلف... يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عُرف بالتربية واشتهر الدواء على يديه وإن خالف والديه."(١٩) ويقول آخر "ومن لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لم يشعر." (٢٠) "وما من علم إلا يقع الاستغناء عنه في وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد في أي وقت."(٢١)

أما جمهور علماء المسلمين فيؤكدون أن الصوفية كما تصورها كتبها ليست من الإسلام في شيء.

ويقول الطوسي بأن العلوم التي يتفقه فيها الصوفية واجبة حيث يقول "وهذه الأحوال والمقامات والمجاهدات التي يتفقه فيها الصوفية ويتكلمون في حقائقها، فالمؤمنون مفتقرون إلى ذلك ومعرفة ذلك

(19) حسن، رسالة ص ٣٦ يستند إلى هامش شرح رانية ص ٢٧؛ جامع الأصول ص ٥٦؛ شرح الحكم ص ٧؛ والفتوحات الإلهية هامس ص ٣٠٦
(20) حسن، رسالة ص ٣٧؛ ويستند إلى الطريقة المحمدية ج١: ٣٧٥؛ شرح رانية ص ٧-٨؛ وشرح الحكم هامش ص ٣٠٦.
(21) حسن، رسالة ص ٤٢.

واجبة، وليس لذلك وقت مخصوص دون وقت وذلك مثل الصدق والإخلاص.."(٢٢)

والسؤال: هل يدرك هذا الصوفي أن الفقهاء وعلماء العقيدة يرون أن النية والصدق والإخلاص عناصر أساسية في كل العبادات والأعمال والأقوال التي تصدر عن المسلم؟ فهذه أمور جوهرية في علم التوحيد والعقيدة والفقه الإسلامي والأخلاق الإسلامية. ودرجات الصدق والإخلاص لا يعلم بحقيقتها إلا الله. أما نحن البشر فمطالبون بالحكم في ضوء الظاهر، فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم "خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فقال: إنما أنا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ من بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِيَ له بِذَلِكَ. فَمَنْ قَضَيْتُ له بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ من النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أو فَلْيَتْرُكْهَا".(٢٣)

سرية العلم الصوفي وغموضه:

وعن كلام أقطاب الصوفية يقول الطوسي "إن تحت كل كلمة من كلام هؤلاء الحكماء كنوزا لا يظفر بها إلا بصدق الطلب ودوام النصب والكد والتعب، **ولا ينبغي لأحد أن يقيس ما يسمع من هذا العلم برأيه ويزين ذلك بعبارته فإنه يتيه ويزل ويهلك ويضل."**(٢٤) ومعترفا بغموض العلم الصوفي يضيف الطوسي: "للصوفية أيضا مستنبطات في علوم مشكلة على فهم الفقهاء والعلماء، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دقتها ولطافتها..."(٢٥)

ومما يدل على غموض علم الصوفية أن علماءها مختلفون حتى في تعريف مصطلحاتها. فأي علم هذا الذي لم يتفق عليه علماء الصوفية؟ ويؤكد الطوسي هذا الغموض صراحة وتعريضا عند إيراده

(22) الطوسي ص ٣٦.
(23) صحيح البخاري ج٢: ٨٦٧.
(24) الطوسي ص ٥٠٨.
(25) الطوسي ص ٣٢.

لتعريفات الصوفية للتوحيد وصفة الموحد.(٢٦) وعند تعريف مصطلح "الأحوال" يقول "وأجوبة الشيوخ في المقامات تكثر وكذلك في الأحوال".(٢٧) كما يورد عشرة تعاريف للفقير.(٢٨) وانظر الطوسي لاختلاف الصوفيين أنفسهم في تعريف بعض مصطلحاتهم الأخرى، مثل: الفناء والبقاء، الحقائق، الصدق الصوفي، الإخلاص الصوفي، الذكر، الغناء، الفقر، الروح، الإشارة، الظرف، المروءة...(٢٩)

ويؤكد هذا الغموض من قام بدراسة للنصوص الصوفية ومنها نصوص ابن عربي(٣٠) ومؤكدا هذه الحقيقة يقول المجددي بأن حالة السالك إذا وصل إلى التوحيد الشهودي هي حالة "خارجة عن التقرير والتسطير. والعقل الناقص عاجز عن إدراك هذه المعرفة لأنها بعيدة عن الفهم ولا يدركها إلا من كان صاحب الكشف الصريح والوجدان الصحيح."(٣١)

وهذه دلالات واضحة على أن ما يسمى بالعلم الصوفي غامض حتى على الصوفية أنفسهم، أي يشبه اللوحة التي قد تكون نتيجة فرشاة ماهرة تثير التخيلات غير المحدودة أو نتيجة خبطات ذيل حمار مبلل بالأصبغة. ويستحيل حتى على خبراء الرسم التأكد من مصدر الألوان في تلك اللوحة التي تتضمن أشكال مألوفة وأخرى شاذة. إنّ "عِلمًا" هذه حقيقته، يمكن لأي إنسان أن يصنع مثله ويدعي بأنها أسرار ربانية ومواهب عظيمة ينفرد بها "الخواص". ومع هذا يدعون وجوبها على المسلمين! وهذا يشبه أن يعتبر بعض الناس اللوحة غير المفهومة وسيلة لإرشاد الناس. وبهذا يسهل على إبليس وأعوانه تسخيرها لغواية عباد الله وزحلقتهم إلى الجحيم وهم جميعا يضحكون: المضلون والضالون.

(26) الطوسي ص ٥٠-٥٤ وانظر الغزالي ج٤: ٢٨-٣٧.
(27) الطوسي ص ٦٦-٦٧.
(28) الطوسي ص ١٥٠-١٥١.
(29) الطوسي ص ٢٨٣-٣٠٥؛ السهروردي ص ٢٣١-٢٥١.
(30) عفيفي ص ٩-٢٠ يورد فيه أقوال كثير من الدارسين والصوفيين.
(31) المجددي ص ٥٩.

ويقول المجددي أن هذه الحقيقة، أي أن السالك يصل إلى مقام يصبح معها "من أرباب يتشرف برؤية الملائكة الكرام وتُكشف للسالك الأسرار اللائقة بالإخفاء والاستتار التي يعجز نطق البيان عنها."(٣٢)

والسؤال: هل يمكن لعلم يحصل عليه الولي الصوفي وهو في حالة فقدان العقل، ويعجز عن بيانها أن يكون ضروريا للمسلمين، ترشدهم إلى الطريق التي توصلهم إلى الجنة وتنجيهم من نار جهنم؟

ويقول المجددي "وقد تشرف الإمام المجدد وابنه الخواجة محمد معصوم قدس سرهما في هذه المرتبة بكشف أسرار المقطعات القرآنية ومتشابهات الفرقانية. وقالا بيان هذه الأسرار خارج عن الطاقة البشرية ولو فرضنا أن نتوجه إلى بيانها فبأي ألفاظ نبين معاني هذه الأسرار ولو تكلم بها أحد لصعق السامع وغشي عليه."(٣٣)

والسؤال: ألا يمكن للمجانين والمحتالين ادعاء مثل هذه المعرفة الصوفية الخارقة السرية بسهولة متناهية، والادعاء بأنه لا يفهمها إلا علماء الصوفية، ولا يمكن الإفصاح عنها بلغة مفهومة للبشر حتى لا يفقدوا عقولهم، ؟ أليس صحيحا أن حكماء المسلمين لا يتميزون عن غيرهم إلا لأنهم يعبرون عن أفكار وإرشادات عظيمة النفع **مفهومة ومستنبطة من الكتاب والسنة؟**

افترض أخي المسلم وأختي المسلمة أنك التقيت بشخص يلبس ملابس الصوفية ويجلس في ركن المسجد تبدوا عليه علامات الصلاح، ويقول كلاما بعضه مفهوم ويدل على الحكمة، ولكنه يختلط بكلام لا تفهمه أو فيه تصريح بالكفر. وعندما سألته ومن معه عن معنى الكلام الذي كان يقوله، أجاب "أنت من العوام (أي من الجهال) ويستحيل أن تفهمه. فهذا الكلام لا يفهمه إلا الخواص العارفين". وأكد هذا القول رفيقه، وطلب منك أن تسلم على يده أو تمنحه هدية نقدية سخية حتى لا تفوتك بركته. وتصور أنك اكتشفت فيما بعد بأن ذلك الرجل ورفيقه

(32) المجددي ص ٦٧، وانظر ص ٩٠.

(33) المجددي ص ٧٨.

مجنونين هاربين من مستشفى المجانين. أليس المعقول أن لا يصدق العاقل بكل الادعاءات التي يسمعها، ولاسيما إذا كانت مختلطة بما يخالف الكتاب والسنة أو الفطرة أو غامضة؟

إن الله الرحمن الرحيم لا يوجب على عباده إلا اتباع ما هو واضح مبين، يدركها الذين يستخدمون عقولهم، فهو تعالى يقول: {كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون}(34)

أليس القول بوجوب العلم الغامض تهمة لرب العالمين على أنه يوجب اتباع إرشادات غامضة؟ أما قول الصوفية بوجوب علمهم الغامض حتى على الصوفية يجعلنا نتساءل: كيف يمكن التمييز بين المجنون والصوفي "العارف" ما دام الاثنين يخلطان بين المألوف والمستنكر؟

ومن زاوية أخرى، ألا ينطبق على قول الصوفيين بأن الدرجات العليا لا ينالها إلا أولياؤهم قول اليهود والنصارى {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}؟(35)

وبعد هذا الغموض كله للعلم الصوفي، هل يمكن القول بأن "علم" الصوفية أفضل العلوم الدينية وأنها واجبة على المسلم للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى. فهل يمكن للمسلم العاقل أن يتهم خالق الكون بأنه يحاسب عباده على تعليمات غامضة غير مفهومة؟ إن الله جل جلاله أعدل من أن يحاسب عباده على أشياء سرية وغامضة.

(34) سورة النور: ٦١.
(35) سورة البقرة: ١١١.

معتقدات خاصة بالصوفية

يقول البعض إن الغالب في الفرقة الصوفية أنها بدأت بالزهد من بعض الصالحين من المسلمين ثم تأثرت بالفلسفات الهندية والفارسية القديمة واليونانية. ويؤكد البعض على تأثرها ببعض المعتقدات المجوسية المانوية. كما يلمس المدقق تأثر الصوفية بالعقيدة الغنوصية، التي تقول بأن الغاية العظمى للإنسان هو أن يتحد بالرب.(٣٦) ويعكس هذه المعتقدات غير الإسلامية، وصف العلاقة بين الخالق والمخلوق بأنه علاقة عشق، والمنع من سؤاله الجنة والنار، ومنع التذلل إلى الله، ولكن وجوب التذلل إلى المرشد، وفناء المخلوقات في الخالق، ومنازعة الخالق سلطانه، وتصوير الخالق بأنه لا يستغني عن مخلوقاته.

علاقة العشق بين الخالق والمخلوق:

من يراجع كتب الصوفية يجد هذه الحقيقة ماثلة في نصوصها. فعلماء الصوفية لا يرون بأسا في وصف العلاقة بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته من البشر بكلمات رخيصة، مثل: العشق (٣٧)والهوى(٣٨) والوصال ومشتقاته(٣٩) والسكر، والكأس والنديم، والمشروب والحان، أي الخمّارة (٤٠) ويتعامل مع خالق الكون كما يتعامل مع معشوق بشري مثله؟

ويُنسب إلى النوري قوله "أنا أعشق الله وهو يعشقني" محتجا بأن الله يقول "{يحبهم ويحبونه} وليس العشق بأكثر من المحبة؛ غير أن العاشق ممنوع، والمحب يتمتع بحبه".(٤١)

(36) الوكيل ص ١٣٨-١٣٩.
(37) الشرقاوي ص ٩، ١٠، ١٥، عن الوكيل ودمشقية، تهذيب ص ٨٩-٩٢.
(38) الشرقاوي ص ١٤.
(39) الشرقاوي ص ٥، ٩، ١١، ١٤، ١٥.
(40) الشرقاوي ص ٦، ٩، ١١؛ اللكنوي ص ٢٢، ٢٣، ٦٠.
(41) الطوسي ص ٤٩٢.

ومتبعا المنهج نفسه يصف التادفي العلاقة بين الخالق والمخلوق بالعشق والسكر والغياب عن الرشد، والصبابة والوصال.(٤٢)

ويقول المجددي "إذا اشتغل بالأذكار...فيظهر فيه غلبة العشق وكثرة المحبة إلى المحبوب... وحصول وصال المطلوب. ولم يفرق بين شعور بأن يفرق بين الظل والأصل لكثرة الذوق والشوق وشدة غلبة العشق...وتجري على لسانه من غير الاختيار نداء (أنا الحق، وسبحاني) وألفاظ الشطحيات والاتحاد والعينية. ولما كان صاحب هذه الأحوال فانيا وغائبا عن ذاته وصفاته لا يكون محلا للطعن والردّ. بل هو معدود في زمرة أولياء الله تعالى ..." و"من كان من المشائخ المتقدمين موصوفا بهذه الأحوال كان متبعا للشريعة الغراء وفي مراتب الورع في درجة عليا ومخمورا من مدام العشق والمحبة وسكران بخمر الوجد والمودة فصار مغلوبا في أحواله فلا شك أنه معذور."(٤٣)

والسؤال: هل من الممكن أن يأمر الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم بنوع من الذكر يُفقد الإنسان عقله ليتلفظ بألفاظ تعبر عن أشنع أنواع الإلحاد؟ إن التعاليم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم حريصة على أن لا يضر الإنسان نفسه، وماله وقواه الجسمية أو يضيعها، فكيف يحثه على عبادات يضيع بها عقله؟ وصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عمر رضي الله عنه من المحدّثين ومع هذا كان عمر يقول "إن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم..."(٤٤)

وهل يجوز استخدام هذه المفردات التي لا تليق في وصف العلاقة بين المخلوقات المحترمة ولم ترد في القرآن الكريم أو الحديث النبوي لوصف العلاقة بين الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته؟ هل يجوز اعتبار

(42) التادفي الحنبلي ص ٢٨، ٢٩.
(43) النقشبندي المجددي ص ٤٥-٤٦.
(44) السهروردي ص ٧١.

الخالق المعبود معادلا للبشر المخلوق يمكن تصوير علاقته بمخلوقاته بعبارات لا تليق إلا في وصف العلاقات البشرية المشبوهة وغير المشروعة في الغالب؟

وهل يقبل المسلم العاقل مثل الاعتذار للشطحات، أي الأقوال التي تُخرج المسلم من الملة، إذا كان هو نفسه الذي تسبب في حالة الجنون؟ هل يمكن إعفاء شارب الخمر من جريمة القتل التي يرتكبها وهو مخمور؟

وهل يقبل عاقل أن يكون أصفياءه وجلساءه من المجانين باختيارهم؟ وهل يشرِّفه ذلك؟ إذا كان لا يليق بالبشر اتخاذ المجانين باختيارهم أولياء فهل يليق بالله سبحانه وتعالى أن يتخذ أولياء وأصفياء من بعض المجانين باختيارهم، من الذين لا يدركون ما يقولون من الكفر الصريح؟

إن الله يعطف على المجانين ويعذرهم ما لم يتسببوا بأنفسهم في الجنون الذي هم فيه، ولكن هل من يبتدعون طرقا، يجهدون في تطبيقها، لتؤدي بهم إلى هذه الحالات الجنونية يشرِّفون الله ويستحقون رحمته؟ وهل المجانين أو فاقدي العقل الذين يقولون ما يخرجهم من الملة أحيانا من الذين يشرفونك أو أي إنسان عاقل؟

وأين هذا الكلام الجريء على الله من قوله تعالى عن أوليائه وأصفيائه {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون.}(٤٥) ومن قوله تعالى لخليله {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.}(٤٦) وقوله تعالى: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم.}(٤٧) ويقول الرسول لعمه ولعمته وابنته "يا عباس، عم النبي، يا صفية عمة النبي،

---

(45) سورة الأنبياء: ٢٨.
(46) سورة القصص: ٥٦.
(47) سورة الشورى: ٥١.

يا فاطمة بنت محمد. إني لست أغني عنكم من الله شيئا".(48)

فهل يعقل أن يأمر الله تعالى بذكر وعبادة تؤدي بالإنسان إلى الجنون والكفر، لا يدرك معها ما يقول أو يفعل؟ إن الله تعالى يقول: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله. ألا بذكر الله تطمئن القلوب.}(49)

نعم يمدح الله، سبحانه وتعالى، الخاشعين في الذكر، ولكن كيف كان خشوع الصحابة وهم القدوة للمسلمين؟ عن عكرمة قال سُئلت أسماء بنت أبي بكر: هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون.(٥٠)

ويقول بعض الصوفية أن التذلل إلى الله شرك أما إلى المرشد فهو واجب، إذ يقول أحدهم أن مقام الرضا هو"أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار".(٥١) وتقول رابعة العدوية "ما عبدتك طمعا في جنتك وخوفا من نارك، ولكن لوجهك الكريم".(٥٢) ولهذا يقول صوفي "إن من يعبده خوفا من شيء أو طمعا في شيء فقد أشرك شركا خفيا"(٥٣)

فهل أشرك النبي صلى الله عليه وسلم ومن عملوا بسنته في الدعاء؟ فقد كان من دعائه الذي علمه لنا "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة"؟ وقد أثنى الله على من يدعو بذلك ووعدهم بالخيرات في قوله تعالى: {ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب}.(٥٤)

---

(48) تاريخ مدينة دمشق ج٣٥: ٢١٧.
(49) سورة الرعد: ٢٨.
(50) الطبقات الكبرى ج٨: ٢٥٣.
(51) القشيري، الرسالة ص ١٩٥.
(52) السنهوتي، الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ص ١٣٥نقلا عن دمشقية، تهذيب كتاب ص ٨٧.
(53) الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ص ١٣٥ نقلا عن دمشقية، تهذيب كتاب ص ٨٧.
(54) سورة البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

بل، إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن ندعوه خوفا وطمعا في قوله تعالى: ادعوا ربكم تضرعا وخفية، إنه لا يحب المعتدين. ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا. إن رحمت الله قريب من المحسنين.(55) وأين هذا من قوله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور.}(٥٦) الذين يستحقون ثناء ربهم في قوله تعالى {يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون}؟(٥٧)

أين تصوير هؤلاء الصوفية للخالق من قوله تعالى يصف نفسه: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.}(٥٨)

الفناء في الخالق عند الصوفية:

الفناء عند الصوفية تعني أن يغيب الإنسان عن نفسه وكل شئ يحيط به فلا يرى سوى الله، ويصل إلى حالة من الغيبوبة حتى أنه يظن نفسه الحق (الله). فيقول مثلا "سبحاني ما أعظم شأني".

ويقول البسطامي: "طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو"(٥٩)

ويقول ابن الفارض مدعيا صفات الربوبية: (٦٠)

"ولا فلك إلا ومن نور باطني   به ملك يهدي الهدى بمشيئتي
ولا قطر إلا حل من فيض ظاهري   به قطرة عنها السحائب سحّت
ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن   شهود، ولم تعهد عهود بذمة
فلا حيّ إلا من حياتي حياته   وطوع مرادي كل نفس مريدة."

ويؤكد أن هذه الصفات هي له فيقول: (٦١)

---

(55) سورة الأعراف: ٥٤ - ٥٦.
(56) سورة فاطر: ٢٨.
(57) سورة النحل: ٥٠.
(58) سورة مريم: ٩٣-٩٦.
(59) المقدسي، البدء والتاريخ ج٥: ٩١.
(60) ابن الفارض، عن الوكيل ص ٢٩، ص ٢٣-٧٢ لآلهة الصوفية.
(61) ابن الفارض نقلا عن الوكيل ص ٢٩.

وكل الجهات الست نحوي توجهت   بما تم من نسك وحج وعمرة

فهل هناك إلحاد أعظم من هذا؟ وكيف يمكن نسبة مثل هذا الشخص إلى الإسلام؟ وبأي وجه يمكن للمسلم العاقل أن يتخذه مرشدا؟

ويقول ابن المجددي بأن الطريقة النقشبندية وصلت إلى الإمام المجدد بدون المرور بالتوحيد الوجودي ولكن، مباشرة، إلى التوحيد الشهودي. و"حاصل السير والسلوك عند مشائخ الطريقة النقشبندية المجددية حصول مراتب الفناء والبقاء ودوام الحضور وتهذيب الأخلاق ورفع الكلفة عن أداء الأحكام الشرعية واتباع الشريعة والتزام السنن النبوية."(٦٢)

وهذا يعني أن الولي الصوفي بعقله يبذل جهودا مضنية ليصبح ممن رُفع عنهم القلم، أي جاهلا أو مجنونا، فهل مثل هذا الإنسان يستحق الاحترام أو أن نتخذه مرشدا، ليرشدنا إلى طريق الجنة، ولينقذنا من الطريق الذي يؤدي إلى جهنم؟

منازعة الخالق صفاته:

يقول الشبلي لزواره بعد خروجهم من داره "مروا أنا معكم حيث ما كنتم، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي."(٦٣) ويعترف الطوسي بشناعة هذا الكلام الذي لا يحتمل التأويل، ولكنه يجتهد كصوفي في تأويله. فيقلب "أنا" إلى "الله". وهو تأويل مكشوف الفساد ومرفوض.

ويمكن لأي أحد استخدام مثله لتأويل كلام المجانين بحيث يصبح حِكَمًا، أو ليؤكد عقيدة بعض الصوفية بأنهم، في حالة جنونهم الاختياري، يتّحدون مع الله، تعالى الله عما يصفون.(٦٤)

ويعبر الدسوقي عن منازعة الله تعالى سلطانه بقوله "أنا بيدي أبواب النار أغلقها، وبيدي جنة الفردوس أفتحتها، من زارني أسكنته

---

(62) المجددي ص ٦٠.
(63) الطوسي ص ٤٧٨.
(64) وانظر تأويلا مماثلا في بُعده عن العبارات الصريحة التي تؤدي إلى الكفر الطوسي ص ٤٦٢-٤٦٣.

جنة الفردوس، وما كان وليّ متصلا بالله إلا وهو يناجيني ربه كما كان موسى يناجي ربه".(٦٥)

ويُنسب إلى الرفاعي قوله أنه يعرف كلام ثلاثمائة ألف أمة ويعرف صفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم...و "إن الله إذا أحب عبدا صرّفه في جميع مملكته وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب وإذا كان الحق تعالى مع عبده صار كأنه صفة من صفاته".(٦٦)

وأين هذا الادعاء وقد أنكر الله تعالى على خليله النبي صلى الله عليه وسلم قوله: {إني فاعل ذلك غدا...}(67) وهو يتحدث عن فعل شيء غدا، فكيف بالادعاء بفعل قضاء أو إمضاء حكم؟

وهكذا وبكل وقاحة ينازع بعض الصوفية الجبّار في صفاته التي تفرّد بها. فأين قوله تعالى: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}؟(٦٨) وقوله تعالى: {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم. كذلك نجزي الظالمين}؟(٦٩)

وقوله تعالى: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض. من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم}.(٧٠)

وعن المدعين لرضا الله تعالى: {وقالوا لن تمسّنا النار إلا أياما معدودة. قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على

(65) السلمي، الطبقات ص ٣٠، ٣؛ القشيري، الرسالة ص ٨.
(66) الصيادي، قلادة ص ١٤٣ نقلا عن ، تهذيب الرفاعية ص ٣٧.
(67) سورة الكهف: ٢٣.
(68) سورة مريم: ٩٣.
(69) سورة الأنبياء: ٢٨ – ٩٢ ، وانظر من الآية ٢٥.
(70)سورة البقرة: ٢٥٥.

الله ما لا تعلمون}؟(٧١) وقوله تعالى: {ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون}(٧٢)

حاجة الخالق إلى مخلوقاته:

يقول ابن عربي بأن الله عز وجل فيه جميع صفات المخلوقات الحميدة والذميمة وبأن المخلوق فيه جميع صفات الله عز وجل. "ألا ترى أن الحق [أي الله سبحانه وتعالى] يظهر بصفات المحدثات [أي المخلوقات]، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص، وبصفات الذم. ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها – وكلها حق- كما هي صفات المحدثات حق للحق".(٧٣)

وانطلاقا من عقيدة وحدة الوجود، ينسب إلى النوري قوله "لبيك وسعديك" عند سماعه بنباح الكلاب.". وينسب إلى أبي حمزة الصوفي قوله "لبيك سيدي" عند سماعه صوت الشاة.(٧٤) ومعبرا عن الامتزاج الكامل مع إلهه يقول ابن ربي "فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده".(٧٥)

ويقول ابن عربي الشخصية المقدسة عند مؤلفي كتب الصوفية بأن الله في حاجة إلى عباده كما هم في حاجته "فوجودنا وجوده، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه".(٧٦)

ويحرف ابن عربي قوله تعالى {وادخلي جنتي}(٧٧) فيقول "جنتي التي بها ستري. وليست جنتي سواك فأنت تسترني بذاتك. فلا

(71) سورة البقرة: ٨٠.
(72) سورة آل عمران: ٢٤.
(73) ابن عربي، فصوص ص ج١: ٨٠، وانظر ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣،.
(74) الطوسي ص ٤٩٥
(75) ابن عربي، فصوص ص ج١: ٨٣.
(76) ابن عربي، فصوص ص ج١: ٨٣.
(77) سورة الفجر: ٣٠.

أعرف إلا بك كما أنك لا تكون إلا بي. فمن عرفك عرفني وأنا لا أعرف فأنت لا تُعرف."(٧٨)

ولهذا فإن أحد زعماء الصوفية، منطلقا من عقيدة المساواة بين الخالق والمخلوقين، يساوي بين الأديان كلها السماوية والوثنية، يقول: (٧٩)

"لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة فرعيٌ لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعب طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
ويمم القلب إلى الأكوان واشهد ظهور الحق في الأعيان

وبهذا يتضح أن نظرية الحلول، عند بعض سادة الصوفية تقول – تعالى الله عما يصفون- بأن الله سبحانه وتعالى يحل في كل شيء سواء أكان إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا ومنها القاذورات، وأنه يحتاج إلينا كما نحتاج إليه، ويعبدنا كما نعبده...

أما رب السماوات والأرض وخالق كل شيء فيقول: {ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير}(٨٠) ويقول سبحانه وتعالى {لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.}(٨١) ويقول تعالى {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد.}(٨٢)

ويؤكد جمهور علماء المسلمين بأن الخالق مستقل تماما عن مخلوقاته ويتصرف فيها كيف يشاء دون قيد أو شرط إلا ما يشترطه هو على نفسه تكرما ومنة، كما في قوله تعالى: {من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.}(٨٣)

(78) ابن عربي، فصوص ص ج١: ٩٢.
(79) ابن عربي، ذخائر الأعلاق ص ج١: ٣٩.
(80) سورة آل عمران: ١٨٩.
(81) سورة الشورى: ٤٩.
(82) سورة فاطر: ١٥.
(83) سورة فصلت: ٤٦.

ثم القول بأن الله في كل شيء فيه تجسيد لله، لأن المخلوقات أشياء لها أجسام مادية أو هلامية أو مائية... ولهذا لا يرى بعض سادة الصوفية بأسا في عبادة الأصنام. فأين هذه العقيدة الصوفية من الإسلام؟

يصف صوفي النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "شأن محمد في جميع تصرفاته شأن الله، فما في الوجود إلا محمد" ويقول "لا تُدرك لحقيقته غاية ولا تُعلم لها نهاية، فهو من الغيب الذي يؤمَن به، ويقول "ولما كانت بشريته صلى الله عله وسلم نورا محضا، كانت فضلاته مقدسة طاهرة، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة، وهذا النور المحمدي هو المَعنيّ بروح الله المنفوخ في آدم فروح الله نور محمد صلى الله عليه وسلم."(٨٤)

ويقول المجددي الذي يدعي الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن والده المجدد يقول "إني أحب الله عز وجل لأنه رب محمد صلى الله عليه وسلم".(٨٥) أي أن محمدا أفضل من الله، تعالى الله عما يصفون.

ويقول تعالى {إنك ميت وإنهم لميتون}(86) ويقول تعالى: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين.}(٨٧) ويقول تعالى على لسان نبيه {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين.}(٨٨) ويقول: {قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين.}(٨٩) و{قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا.}(٩٠) ويقول خاتم النبيين صلى الله عليه

(84) البيطار، النفاحات الأقدسية ص ٩، ١١، ١٣ نقلا عن الوكيل ص ٧٧.
(85) المجددي ص ٨٩-٩٠.
(86) سورة الزمر: ٣٠.
(87) سورة آل عمران: ١٤٤.
(88) سورة فصلت: ٦.
(89) سورة الأحقاف: ٩.
(90) سورة الجن: ٢١-٢٢.

وسلم: "لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النَّصَارَى بن مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ فَقُولُوا عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ "(91)

ويقول بعض الصوفية بأن الولي فوق النبي. فمثلا يقول المجددي: "لا يخفى أن سلوك الطريق النقشبندية قبل زمان الإمام المجدد قدس سره كان إلى دائرة الأسماء والصفات أي الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء... وما تكتب من المقامات بعد الولاية الكبرى إلى انتهاء السلوك فهي قد خُصّ بها الإمام المجدد قدس سره بعناية الحق سبحانه وانكشف عليه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.)"(٩٢) وهذا يعني أن الأنبياء يتوقفون عند علم الظاهر أي الولاية الكبرى؛ أما الشيخ الصوفي المجدد فيتجاوز ذلك المقام إلى مقام الولاية العليا التي هي ولاية الملائكة، حسب قوله.

ويقول ابن عربي "وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم. ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه –متى رأوه- إلا من مشكاة خاتم الأولياء. فإن الرسالة والنبوة – أعني نبوة التشريع – تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدا. فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء".(٩٣)

ويؤكد السلمي هذا الادعاء بقوله "إن للأولياء خاتما كما أن للأنبياء خاتما وأنه يفضل على النبوة."(٩٤)

أما جمهور علماء المسلمين فيؤكدون بأن أي إنسان إما أنه مؤمن بنبي، يتبعه في كل ما جاء به دون زيادة، أو كافر مصيره جهنم. ومن المؤكد أن المتبوع أفضل من التابع. فقد اختار الله سبحانه وتعالى النبي والرسول وضمن له الهداية. أما التابع فيجتهد ولا يضمن شيئا، لأنه لا يضمن صموده أمام الشهوات ولا يضمن صبره على المكاره.

(91) صحيح البخاري ج٣: ١٢٧١.
(92) المجددي ص ٦٦-٦٧.
(93) ابن عربي، فصوص ج١: ٦٢.
(94) كبري زادة، مفتاح السعادة ج٢: ١٧٠، نقلا عن الوكيل ص ١٢٨.

الشروط القولية للولي الصوفي:

كما أن كتب الصوفية لا تخلو من الإلحاد والكذب، فإنها لا تخلوا من شروط جميلة للشيخ، مثل العلم بالكتاب والسنة، والعدالة، والتقوى، واجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والحرص على الطاعات المؤكدة، والحرص على الأذكار المأثورة، والمواظبة على تعلق القلب بالله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر." يضاف إلى ذلك أن يكون "مُعرضا عن حب **الدنيا والجاه** ويكون محسنا لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول، وكثرة الصلاة والصدقة ومتصفا بمحاسن الأخلاق كالصبر والشكر والتوكل واليقين والسخاوة والقناعة والحلم والتواضع والصدق والحياء والوفاء **والوقار** والسكون..." ويعترف بعض الصوفية بأن مثل هذا الشيخ "نادر أعز من الكبريت الأحمر".(٩٥)

و هي صفات لو توفّرت في أحد بمفهومها عند جمهور علماء المسلمين لكان أول من ينكر على الصوفية معتقداتها وعباداتها. ولكن المشكلة أن هذه الكتب نفسها لا تعترف بأن ما في الكتاب والسنة من معتقدات وعبادات كافية، ومستعدة لقول أي شيء أو عمل أي شيء للتكثير من المريدين. وصدق أحد الصوفيين حين يقول بأنه "كثر مدعي المشيخة من الُجّهال الذين يحرصون على الشهرة وكثرة المريدين، وجعلوا المشيخة ألعوبة للصبيان ومضحكة للشيطان، يتوارثونه كلما مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه وإن كان صغيرا، ويتبركون به؟"(٩٦)

(95) حسن، رسالة ص ١٨-١٩.
(96) حسن، رسالة ص ١٩-٢١؛الطوسي ١٨-١٩؛ المجددي ص ٤٦-٤٧.

مفاهيم مختلفة للصفات الجميلة:

وهناك مشكلة أخرى، وهي أن بعض هذه الصفات الحميدة لها مدلولات خاصة عند الصوفية. كما أن هناك صوفية يدّعون بأنهم قد وصلوا إلى درجة سقطت عنهم التكاليف فيها، ومنها أداء الصلاة جماعة في المسجد... ولكن صوفي يعارض ما أورده في مواقع أخرى ويرد عليهم بقوله إن "كل من ادعى أنه خلص مع الله ضميره ونال رتبة في الحقيقة، وأنه تنزه عن التقيد بظاهر الشريعة وسقط منه التكاليف والارتسام بمراسم الشريعة وجعل التقيد بالشريعة للعوام المنحصرين في مضيق الاقتداء فاعلموا أنه مفتون في دينه وهو من أهل الإلحاد والزندقة والفلسفة والإباحة. فإياكم أن تصحبوا مثل هذا."(٩٧)

التوكل رفض نعمة الحرية النسية:

يقول صوفي "تركت الحق يتصرف لي كما يشاء" ويقول آخر "إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفا." ويقول صوفي "إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء."(٩٨)

أما رب العالمين فيقول {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون.}(٩٩)

التوكل رفض التكسب:

ومن صور التوكل الاتكال وترك التكسب، وينسب إلى الجيلاني القول: "والإنسان لا يصلح لأن يكون وعاء لعلم الله إلا إذا فني عن الخلق...وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في

(97) حسن، رسالة ص ٢١.
(98) اللكنوي ص ٥٣.
(99) سورة التوبة: ١٠٥.

جلب النفع ودفع الضر".(١٠٠)
ومن المعلوم عند جمهور علماء المسلمين أن الصبر على الفقر الاضطراري محمود، ولكن الاجتهاد في الفقر الاختياري معناه تعطيل القدرات التي منحها الخالق للإنسان ورفض لنعمته.
أما الصوفية فمن أقوالهم أن التصوف مبني على "التمسك بالفقر والافتقار" و" من لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف". "والفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره."
ويقول صوفي بأن أقصر طريق إلى الجنة هو أن "لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدا شيئا".(١٠١)
فهل يمكن للإنسان أن يفعل ذلك إذا كان لا يتكسب، إلا أن ينتحر جوعا؟ إن الإنسان إما أن يعطي أو يأخذ، أو يشحذ، أو يتكسب لنفسه أو يجوع ويعرى ويموت.

التوكل هي الشحاذة:

ويقول صوفي إذا استنفد الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدّر له بشيء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله، فعندئذ يقرع باب السبب ويسأل.(١٠٢) يقرع باب السبب، ليس العمل، ولكن الشحاذة!

ولهذا يقول بعضهم: "اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد." وكان أحدهم لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما خشية أن يفسد عليه توكله.(١٠٣)

أليس الاستسلام الكلي يتعارض مع التكليف وحسن استثمار منح

(100) عبد القادر الجيلاني ص ، ٨، ٩ في حاشية التادفي الحنبلي، قلائد وانظر التادفي ص ٩ والاتكالية عند الصوفية، يعيشون على ما يجود به المحسنون من غير الصوفية.
(101) السهروردي ص ٦٢، ٧٧.
(102) السهروردي ص ٩٩.
(103) السهروردي ص ٩٠.

الله لاستغلال الدنيا في سبيل إصلاح الآخرة؟ وأين هذا من ضرورة السعي ومن قوله تعالى {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور.}(١٠٤)

ويروي ثوبان رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "ومن يَتَقَبَّلُ لي بِواحِدَةٍ أتقبل له بِالْجَنَّةِ؟ قلت أنا. قال لَا تَسْأَلْ الناس شيئا. قال فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ وهو رَاكِبٌ فلا يقول لِأَحَدٍ ناوليه حتى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ".(١٠٥) وقال عليه الصلاة والسلام "وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَأَنْ يَأْخُذَ أحدكم حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ على ظَهْرِهِ خَيْرٌ له من أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أو مَنَعَهُ."(106) وقال النبي صلى الله عليه وسلم "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله".(107)

ويرى بعض الصوفيين أن من علامات الفناء اليأس مما في أيدي عباد الله، فكيف يفسرون اتكالهم على ما يأتيهم من الناس نتيجة لدعاياتهم للصوفية ولمشايخها...؟

ولا أدري إذا أصبح كل المسلمين من المريدين العاطلين، من أين سيكون للمسلمين المال ليستغنوا به عن الكافرين وليشتروا الأسلحة للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم؟(١٠٨)

الإخلاص عدم الأخذ بالأسباب:

يقول صوفي "الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال. وهذا إخلاص العوام؛ وأما إخلاص الخواص فهو ما يجري عليهم، لا ما يجري بهم."(١٠٩) وهذا يعني تعطيل نعمة العقل وتجاهل الهداية الربانية ورفضٌ نعمة حرية الاختيار، أي يفضل الصوفيون الكفر بنعم

(104) سورة الملك: ١٥.
(105) سنن ابن ماجه ج١: ٥٨٨.
(106) البخاري: صحيح البخاري ج٢: ٥٣٥؛ البيهقي، السنن الكبرى ج٤: ١٩٥.
(107) البخاري: صحيح البخاري ج٢: ٥١٨.
(108) مكي، قوت القلوب ص ١٩٢-٢٠٤.
(109) اللكنوي ص ٤٨-٤٩.

الله والعيش عيش المرفوع عنهم القلم، مثل الأطفال والمجانين.

محبة الابن شرك بالله:

يرى صوفي أن مما يجرح الإخلاص تقبيل الرجل ابنه، وذلك لأنه نوع من الشرك مع الله في المحبة.(١١٠) وهذا إنكار صريح لفعل النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولقوله. فقد قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ.(١١١)

السماع مستحب للصوفية:

يعني السماع عند الصوفية الاستماع إلى الأناشيد بالموسيقى والرقص الجنوني أحيانا، مع اختلاط الرجال بالنساء. ويقول أبو علي الدقاق "السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم."(١١٢) أليس هذا شرع جديد يخالف ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟

الزهد حرمان الآخرين من حقوقهم:

يفهم صوفي الزهد بأنه التشدد على نفسه ومخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وهدر حقوق العباد. فيتزوج مجاملة للأب الذي يعرض عليه ابنته، ولكن يحرمها من حق الزوجية لتمكث عنده ثلاثين عاما بكرا.(١١٣)

وقد أنكر الرسول عليه الصلاة والسلام على الذين قال أَحَدُهُمْ أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وقال آخَرُ انا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ. وقال آخَرُ أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له،

(110) الطوسي، قصتان يوردهما الطوسي تحت آداب المتأهلين ص ٢٦٤-٢٦٥.
(111) صحيح البخاري: الأدب.
(112) اللكنوي ص ٦١.
(113) الطوسي، قصتان يوردهما الطوسي تحت آداب المتأهلين ص ٢٦٤-٢٦٥.

لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.(114)

كرامات مشايخ الصوفية:

هناك كرامات متنوعة لمشايخ الصوفية. ومن هذه الكرامات المزعومة للصوفيين، قول أحدهم عن شيخه "إنه خليفة يُملّكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء: كن، كان من حينه"(١١٥) ومن كراماتهم علم الغيب وقراءة ما في اللوح المحفوظ.(١١٦) وعن معرفة الولي الصوفي يقول ابن عربي "وقلب العارف من السعة كما قال أبو يزيد البسطامي "لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به".(١١٧) يقول الصوفي هذا الكلام، مع أنه جاء في الحديث النبوي أن "...العرش لا يقدر أحد قدره"،(118) وفي رواية أخرى "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض."(119)

والشيخ الصوفي يمكنه منح شخص آخر عشر سنوات إضافية من العمر.(١٢٠) ويقول صوفي بأن أحد أوليائهم عندما توفي، "ارتفع نصف القرآن الكريم إلى السماء ووقع في الدين فتور."(١٢١) هل يمكن للمسلم العاقل أن يصدق مثل هذا الافتراء المبعد في الخيال؟

(114) صحيح البخاري ج٥: ١٩٤٩.
(115) حرازم، جواهر المعاني ج٢: ٨، نقلا عن الوكيل ص ١١٦-١١٧.
(116) الشعراني، لواقح ص ج١: ١٦؛ النبهاني، جامع ج١: ١٥١ نقلا عن دمشقية، تهذيب ص ٣٠؛ والنبهاني ج١: ٢٢٢-٢٢٣ نقلا عن دمشقية، تهذيب ص ٣٩.
(117) ابن عربي، فصوص ص ج١: ١٢٠
(118) كنز العمال ج١/ص٢٠١
(119) كنز العمال ج١٦: ٥٥.
(120) الشعراني، لواقح ص ج٢: ٩٤، نقلا عن دمشقية، تهذيب
(121) الكردي، المواهب ص ٢٣١-١٣٢ نقلا عن دمشقية، تهذيب ص ٣٨-٣٩.

وأين هذا من قوله تعالى: { (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (١٢٢)

التعامل مع الموتى وكأنهم أحياء:

يقول أحد الصوفية الرفاعية أن يد الرسول صلى الله عليه وسلم مُدّت للسيد أحمد الرفاعي في حجه سنة ٥٥٥ للهجرة "من القبر فشرف علنًا بتقبيلها وقد رآها الألوف وتواتر خبرها."(١٢٣) والسؤال: هل يمكن للألوف أن ترى الرفاعي يقبل يدا تمتد من قبر النبي صلى الله عليه وسلم الموجود داخل مسجده المزدحم بالأعمدة التي تحمل السقف، بالعين المجردة؟

فعل الفواحش من الكرامات:

يقول الدباغ إن "الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي، وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية. ويمثل لذلك بقوله أن الولي قد يشرب الخمر مع الشاربين، وذلك لأن روحه تصورت في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت.(١٢٤)

ومما يندى له الجبين ما يقصه الشعراني الصوفي عن سيده علي وحيش الذي يحرص على الترضية عنه بقوله (رضي الله عنه). يقول كان هذا الشيخ الصوفي يقيم في حي بنات الهوى أو الدعارة. وكان كل من يخرج بعد اقتراف جريمة الزنا يقول له الشيخ علي وحيش: "قف حتى أشفع فيك، قبل أن يخرج. فيشفع فيه. وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزل عن حماره، يقول له امسك لي رأسها حتى أفعل فيها. فإن

(122) سورة الأعراف: ٥٤

(123) عبد الباسط ص حزب الفرج ص ٢٩.

(124) الدباغ، الإبريز ج٢: ٤٣، نقلا عن الوكيل حاشية ص ١٠٩.

أبى شيخ البلد تسمّر في الأرض، لا يستطيع المشي ولو خطوة. وإذا أطاع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه".(١٢٥)

ومن كرامات مشايخ الرفاعية أن شيخا من مشايخ الصوفية "كان لا يركب امرأة من بنات الخطأ وتعود إلى الزنا أبدا."(١٢٦) ويراود مريد (صوفي مبتدئ) ولية صوفية شابة فتجيبه، ولكن يجد جسمها كالخشبة اليابسة...(١٢٧)

وهكذا يتضح أن من كرامات الولي عند بعض الصوفية أنه يرتكب الفواحش والمحرمات جهرا، ويصدر منه سلوك أو كلام لا يصدر إلا عن المجاهرين بالفسق أو المجانين.

والسؤال هل هؤلاء مؤهلون لأن يكونوا قدوة للمسلمين، يأخذون بأيديهم إلى طريق الجنة؟

ضرورة شيخ الطريقة وطاعته:

ترى الصوفية ضرورة اتخاذ شيخ من مشايخ الطريقة ليهديه سواء السبيل. و"من لم يتخذ له شيخا فهو عاص لله ولرسوله". ويؤكد صوفي بأنه "من هنا يتبين خطأ من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية وأن يتخلص من علله النفسية بمجرد قراءة القرآن الكريم والاطلاع على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم".(١٢٨)

ويقول المجددي وإذا وصل إلى الشيخ الكامل المكمل "ينبغي أن يغتنم وجوده وأن يفوض نفسه إليه بالتمام وأن يعتقد سعادته في مرضاته وشقاوته في خلاف مرضاته، وبالجملة ينبغي أن يجعل هواه تابعا لرضاه." ويقول "وينبغي للطالب أن يعرض بقلبه عن جميع الجهات وأن يتوجه به إلى شيخه وأن لا يشتغل بالنوافل والأذكار مع وجود الشيخ بلا إذنه ولا يلتفت في حضوره إلى غيره.".. و"ولا يقوم

(125) الشعراني، لواقح ص ج٢ ١٣٥.

(126) النبهاني، جامع ج٢: ٣٢٧ نقلا عن دمشقية تهذيب الرفاعية ص ٩٢.

(127) النبهاني،جامع ج١: ٣٠١ نقلا عن دمشقية، تهذيب الرفاعية ص ٩٢.

(128) حسن، رسالة ص ١٥؛ Mihr pp. 27-29.

في محل يقع ظله على ثوب شيخه أو على ظله.. ولا يشرب ماء ولا يأكل طعاما ولا يكلم أحدا في حضوره... وكل شيء يصدر عن شيخه يعتقده صوابا وإن لم ير صوابا في الظاهر، فإنه يفعل ما يفعله بطريق الإلهام والإذن فلا يكون للاعتراض مجال...ويقتد بشيخه في الكلي والجزئي ولا يترك في نفسه محلا للاعتراض مقدار حبة خردل فإنه لا نتيجة للاعتراض سوى الحرمان.."(١٢٩)

ألا تعتقد أيها المسلم والمسلمة أن هذه التعليمات هي من الشرك بالله، فالله وحده الذي يستحق مثل هذه الطاعة؟

ولهذا يقول السمان للمريد "فإياك والاعتراض عليه ظاهرا أو باطنا ولو فعل محرما. كما يروى عن بعضهم أنه خدم بعض الأولياء سنين فدخل عليه ذات يوم ورآه يزني بامرأة فغض طرفه ولم يكترث بذلك ولازم على ما هو فيه... فكن كهذا الفقير ليحصل لك من المولى الخير الكثير... وداوم بصدق الخدمة بين يديه وحكّمه في جميع أمورك وارجع إلى رأيه في مشورته في جميع شئونك واقتد به في جميع الأقوال والأفعال."(١٣٠) هل يعني هذا أن المريد يزني أيضا كما يزني شيخه؟

ألا تعتقد أخي وأختي المسلمة أن الأقوال التي وردت في صفات الولي الصوفي وطاعته هو ما ذمّه رب العالمين على اليهود والنصارى؟ يقول تعالى: {وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله، أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله}.(131)

أليست هذه الطاعة العمياء للشيخ في الأمور كلها مخالفة صريحة لأوامر الله؟ وهل مثل هذه يمكن أن تكون لغير رب العالمين؟ لقد جاء الإسلام ليحرر الناس من العبودية للبشر إلى العبودية الكاملة لله. فكيف

(129) المجددي ص ١٠٤، ١٠٥.
(130) السمان ص ٥٧؛ وانظر الآداب الماثلة عند الرفاعية في ، تهذيب الرفاعية ص ٨٩-٩٠.
(131) سورة التوبة: ٣٠- ٣١.

يأمر الصوفية بمثل هذه العبودية لمشايخهم؟ وهذا الاحترام المبالغ فيه لم يطلبه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه، ولم يأمر به الله لنبيه، فهل يعقل أن نمنحها للولي الصوفي؟ أين تغيير المنكر ولو بالقلب؟ وهل من يعصي الله ويزني يكون مؤهلا لأن يوصل المنقطعين بالله سبحانه وتعالى؟

ألست هذه الطاعة نوع من الشرك مع الله؟ يقول تعالى:{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.}(١٣٢) ويقول تعالى {لئن أشركت ليحبطن عملك.}(١٣٣)

(132) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.
(133) سورة الزمر : ٦٥.

العبادات الصوفية الخاصة

هناك عبادات خاصة عند الصوفية، لم تثبت عند جمهور علماء المسلمين، ولا يقبلها الإنسان العاقل، فمثلا تحث بعض كتب الصوفية على المواظبة في أداء طقوس وعبادات خاصة بهم. ومنها "الورد التيجاني" الذي يتضمن جوهرة الكمال وتجب على التيجانيين مرة واحدة في اليوم والليلة، وله من الأجر – في اعتقادهم- ما ليس لجميع أركان الإسلام مجتمعة. وتشبه شروط أدائه شروط الصلوات المفروضة. والورد المذكور يحرُم أخذه بدون إذن من لديه تصريح بذلك، ويجب عدم الخروج عنه. (١٣٤)

والسؤال: هل هذه فريضة جديدة غفل عنها أو حُرمها أتباع محمد صلى الله عليه وسلم لمدة اثني عشر قرنا، ثم نزلت على نبي التيجانية؟ وماذا عن قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}؟(١٣٥)

ويستشهد صوفي بضرورة الالتزام بالبيعة للشيخ الصوفي بقوله تعالى {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم. فمن نكث فإنما ينكث على نفسه...}(١٣٦)

والسؤال: هل البيعة الصوفية هي بيعة على الإسلام؟ وهل الشيخ نبي أو أن النبي صلى الله عليه وسلم وكّله وحده؟

ويستدل صوفي على استحباب تحريك الرأس والتمايل يمينا وشمالا عند ذكر الله تعالى بقوله تعالى {ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط}.(١٣٧) ومن المعلوم أن هذه الآية تصف أهل الكهف في نومهم الطويل. فهل الصوفية أموات؟

(134) التيجاني ص ٤٧-٥٣، انظر الجوسقي ولفضائل الورد ص ١١٧ - ١٢٢.
(135) سورة المائدة: ٣.
(136) حسن، رسالة ص ١٧.
(137) حسن، رسالة ص ٥٥.

ويستشهد بعضهم بحديث آخر مكذوب يقول بأن عليا رضي الله عنه "سأل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: يا رسول الله، دلني على أقرب الطريق إلى الله وأسهلها عليّ عبادة وأفضلها عنده تعالى؟ قال النبي: عليك بمداومة ذكر الله سرا وجهرا. فقال علي: كل الناس ذاكرون. فخصني بشيء قال صلى الله عليه وسلم: اغمض عينيك واسمع مني "لا إله إلا الله" ثلاث مرات نافيا عن يمينه مثبتا في شماله، مغمضا عينيه.".(١٣٨) فهل يقبل عاقل تهمة النبي صلى الله عليه وسلم بتخصيص علي رضي الله عنه بشيء من الدين دون المسلمين؟

ويعلل صوفي الرقص في الذكر بقوله "فإن الباعث على التواجد [الاهتزاز بطريقة جنونية أحيانا] هو الشوق إلى الله تعالى والمحبة في جماله وجلاله". وأما "الباعث على الرقص إنما هو الشهوات النفسانية والأغراض الشيطانية في الفسق والفجور."(١٣٩) والسؤال ما الفرق بين التواجد والرقص بأنواعه؟

بل تقول الصوفية أنه يتعين على المريد أن لا يتجاوز الذكر الذي لقنه شيخه، وأن يضع يديه على فخذيه وهو يردد الذكر مغمض العينين متخيلا شيخه بين عينيه. وقد تحصل للذاكر غيبة فلا يشرب الماء حتى لا يطفئ حرارة الذكر. وقد يصبح الذاكر **مسلوب الاختيار** "فقد يجري على لسانه : الله الله الله أو هو هو هو أو لا لا لا أو أ أ أ أو أه أه أه أو ها ها ها أو هي هي هي أو صوت بغير حرف".(١٤٠)

ويقول صوفي بأن "أرقى حالات السماع وأعلاها عندهم أن تكون روح السالك من حصول لذة المشاهدة [لله] تطرب بدنه بلا اختيار ويرقص... وهناك حالة رابعة. وهي أن يحصل للسالك في مجلس السماع وجد من الوصال والهجر فيبكي تارة ويضحك أخرى. فيضحك إذا شاهد المحبوب ويبكي إذا غاب عنه. وفي هذه الحالة يتلون وجه

(138) حسن، رسالة ص ٣٢-٣٣، ٥٥ ويستند إلى الطريقة المحمدية ج٤ : ١٦٦، ١٦٧، ومشارق ص ١٢٩-١٧٩، والمكتوبات ج١ ٣٨٢.
(139) حسن، رسالة ص ٥٦.
(140) السمان ص ٢٤.

السالك من الوجد فتارة يحمر وتارة يصفر وأما من مال وجهه إلى السواد أو صار رماديا وأبيضّ لون عينيه فذلك من الجان والشيطان، لا من الوجد الصادق."(١٤١) والسؤال: لماذا لا يكون كله من الجن والشيطان؟ هل هناك نصوص من القرآن الكريم أو السنة موثقة تؤيد هذا التفريق؟ طبعا، لا.

وتخيل أخي المسلم، وقد عشت عمرا طويلا حسب الكتاب والسنة، أنك تدخل مسجدا أو مجلسا يتمايل فيه الحضور، ويرددون أشياء مثل اللهو أو آه آه أو هو هو. ألا تعتقد أنك وقعت بالصدفة بين مجموعة من المجانين؟

ويحتج الصوفية بكون جعفر بن أبي طالب حجل (أي قفز قفزة أو اثنتين على رجل واحدة) عندما رأى النبي بعد عودته من الحبشة أو بعد أن أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن المشكلة أن الرقص حركات متكررة متوالية ربما تمتد ساعات. فتخيل إنسانا يكرر عملية المصافحة مرات عديدة تصل إلى العشرات والمئات بصورة متتالية!

إن العبادات الإسلامية تُؤدى بحركات مرتبة، ورزينة يتوفر فيها الوقار والسكينة مثل الصلاة والأذكار حسب السنة الموثقة التي يقرها جمهور علماء المسلمين. أما الحركات غير التلقائية السريعة التي تفتقد إلى السكينة والوقار، فإن الفطرة السليمة ترفضها كطريقة لعبادة الخالق. فهي تشبه حركات اللهو المرتب لها أو الحركات الجنونية العشوائية التي تفتقد إلى الوقار والتقديس اللائق بعبادة رب العباد.

(141) اللكنوي ص ٦٣ وانظر ص ٦١-٦٧.

الخيال الجامح في كتب الصوفية

يتمتع كتاب الصوفية بخيال خصب وجامح في التأليف على الله وعلى رسوله، وعباده الصالحين. فهم جاهزون للكذب على الله وعلى ملائكته وأنبيائه والعلماء للترويج لمشايخهم ولطريقتهم. وقد رأينا النماذج الكثيرة من الكذب الجرئ على الله وعلى عباده الصالحين، فيما سبق. وهنا سنستعرض بعض النماذج الأخرى. يقول أحدهم بأن من الملائكة "سبعين ألفا جرد مرد، يرقصون ويتواجدون [يهتزون بطريقة لا إرادية] حول العرش، ويقولون جل الملك ملكنا، لولا الملك هلكنا" وأن الملائكة يرتصون حول العرش وجبريل رئيسهم وميكائيل قوّالهم."(١٤٢) فهل حقا يمكن تهمة ملائكة الرحمن بأنهم يتواجدون، أي يرقصون أو يصرخون أو يتلوّون مثل تلوي الأفاعي، ويأتون بحركات لا تصدر من الإنسان العاقل؟

ويقول صوفي آخر "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه: إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكري. فإذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب بيني وبينه..."(١٤٣) فهل يقبل العاقل مثل هذا الكلام على رب العالمين، الذي له ملك السماوات والأرض؟

وينسب صوفي إلى علماء الأزهر من أصحاب المذاهب الأربعة قولهم بجواز التصفيق الذي يفعله بعض الصوفية لأنه من الطرب الروحاني وبجواز معاشرتهم الأولاد وتربيتهم وجعلهم خلفهم. وذلك لأنه ورد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد وفيه أمرد فجعله خلف ظهره، وقال إنما كانت فتنة أخي داوود من نظره. وكذلك أفتوا بأن هز المناكب والصياح بالتهليل جائز لأن أحد العارفين كان "جالسا فكشف

(142) الصيادي، الفجر ص ٨٠-٨١، وقلادة الجواهر ص ١٨٥ نقلا من دمشقية، تهذيب الرفاعية ص ٨٦-٨٧

(143) السهروردي ص ٧٣.

الله عن بصيرته فرأى العرش وحوله ملائكة من نور لهم شعور كالنساء يطوفون بالعرش ولهم زجل عال بالتهليل والتسبيح يهزون المناكب حيارى سكارى أسارى من كُثر ما شربوا من كأس الحب." ويضيف هذا الصوفي بأن "التواجد ثابت عن خواص الأنبياء والأولياء. وأن التمطيط بلا إله إلا الله جائز لأنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خلق الله ملكا يقولها فلا يفرغ منها حتى تقوم الساعة." ([١٤٤]) تصور أخي وأختي المسلمة هذه المناظر المثيرة للسخرية، هل تليق بملائكة رب العالمين؟

وتصور أنك مدرس محبوب عند طلبتك فدخلت عليهم يوما فأخذوا يقومون بهذه الحركات البهلوانية، "تواجدا، أسارى وسكارى" برؤيتك...

ويقول صوفي تيجاني بأن قراءة صلاة "الفاتح لما أغلق" مرة واحدة تعدل القرآن ست مرات بالسوية." وأن من فضائل صلاة الفاتح "أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة مفردة، وكل صلاة من الستمائة ألف تعدل بأربعمائة غزوة. وكل غزوة بأربعمائة حجة لبيت الله الحرام."([145]) ويقول بأن قراءة ورد "جوهرة الكمال" في الوظيفة اليومية تكفر عن صاحبها جميع ما ارتكبه طول يومه من الآثام... والمرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بالسوية..."([١٤٦])

ويقول تيجاني بأنه "يوم السبت الموافق لسبعة عشر يوم مضت من شهر الله المحرم عام ١٢٧٩ للهجرة فاضت من قبره [التيجاني] عين من اللبن الحليب ومكث ذلك اللبن خارجا من القبر بازدياد حتى اجتمع للأخذ منه جميع الناس...ولم يبق عاقل بمدينة فاس إلا وقد ملأ منه الأواني العظيمة. وهو الآن موجود في بعض الأماكن لم يتغير."([١٤٧])

---

(144) السمان ص ٢٩-٣١.
(145) الجوسقي ص ١١٦، ١١٧ في التيجاني.
(146) الجوسقي ص ١١٨، في التيجاني.
(147) التيجاني ص ٦٣.

ويحق للمسلم أن يتساءل: إذا كان من يقرأ صلاة الفاتح وجوهرة الكمال يضمن كل هذه الحسنات، فهل يحتاج إلى أداء الفروض الخمس مثلا؟ يقول التيجانيون بأنه لا يكفي وعلى المريد أن يحافظ على الصلوات وفي الجماعة إن أمكن!([١٤٨])

ويردد الدمياطي بعض القصص الخرافية مثل قوله أن بعض السلف كانوا يختمون القرآن في كل يوم وليلة أو ختمتين أو ثلاث ختمات أو ثمان ختمات.([١٤٩])

ويعجب الإنسان: هل من كتب هذا الكلام له تجربة واقعية في تلاوة القرآن الكريم فيدرك بالتجربة أن بعض هذه الصور مستحيلة تماما، حتى بدون التجويد ودون أن يفهم القارئ ما يتلوه؟

---

(148) مثلا التيجاني ص ٨٩.
(149) الدمياطي ص ٥٩.

التنافس بين الطرق الصوفية

هناك تنافس كبير بين الطرق الصوفية تعكسها الكذبات الطامات والصراعات الدامية أحيانا.

فمثلا يقول المجددي النقشبندي" والمجدد هو الذي تصل الفيوض إلى جميع الخلق بواسطته حتى الأقطاب والأوتاد والأبدال الذين في زمنه"(١٥٠)

ويقول الصوفيون الرفاعيون أن الله صرّف الرفاعي في الكون، وأنه المتحكم في ذرات الكون، وأنه ملجؤهم وملاذهم ومفزعهم وولي نعمتهم، وأن الله ختم به الولاية. فهو خاتم الأولياء.(١٥١) ويقول رفاعيون آخرون بأن روح شيخهم الرفاعي يتألف من تبرعات الأنبياء بأجزاء من أرواحهم(١٥٢) وأنه رأس في الأولياء وختمهم(١٥٣)

ويقول التيجانيون بأن شيخهم أحمد التيجاني خاتم الأولياء وإمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث...(١٥٤)

فالسؤال : من نصدق ؟ ومن نكذب؟ وخاصة أن كل طريقة من هذه الطرق تبالغ في كيل المديح لمؤسسها المزعوم ولنفسها بما يفوق الدعايات التجارية التي نسمعها أو نشاهدها في وسائل الإعلام اليوم.

(150) المجددي ص ٧٦.
(151) الصيادي، قلادة ٧٢؛ الفاروثي ص ١٣-١٤؛ الصيادي، قلادة ص ١٧؛ الصيايد، قلادة ٣٦، ٤٣٢ نقلا عن دمشقية، تهذيب الرفاعية ص ٤٨.
(152) القرشي، الروض ص ٧٥ عن دمشقية، تهذيب الرفاعية ص ١١.
(153) الصيادي، الكنز ص ٦٥؛ الفاروئي، إرشاد ص ٧. نقلا عن دمشقية، تهذيب الرفاعية ص ١٢-١٣.
(154) انظر التيجاني ص ١٥-١٨؛ رماح ج٢: ٥، ١٥، نقلا عن الوكيل ص ١٣٠.

الخلاصة

أخي المسلم وأختي المسلمة. لا شك، نحن جميعا مضطرون إلى الانتماء إلى الإسلام للنجاة من النار وللتأهل للفوز بالجنة، ولكن لسنا مضطرين إلى الانتماء إلى أي فرقة من "الفرق الإسلامية" للنجاة من النار والفوز بالجنة؟ بل الخير كل الخير في الاقتصار على الانتماء إلى الجماعة الإسلامية التي يقودها جمهور علماء المسلمين في جميع العصور وفي جميع أنحاء المعمورة. يقول تعالى: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون.}(١٥٥) ويقول خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين".(١٥٦)

وهناك كثير من المنتسبين والمنتسبات إلى الصوفية صالحون وصالحات. ولا شك أن كتب الصوفية تعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الموثقة من مصادر معتقداتها وعباداتها، ولكنها تزيد عليها مصادر أخرى تجعلها مساوية لهما، مثل التلقي مباشرة عن الله، وعن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وفي اليقظة. وهذا مما يخالف ما عليه جمهور علماء الإسلام.

وهناك فهم لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية يتفق مع فهم جمهور علماء المسلمين، ولكن هناك تحريفات صريحة لمدلولاتها الواضحة، تستخدم للترويج لمعتقدات الصوفية، والدعاية لفرقها ومشايخها.

وهناك معتقدات ترددها الكتب الصوفية تتفق مع عظمة الخالق، ولكن هناك معتقدات تسيء إلى الخالق بجرأة عظيمة. فهذه الكتب تدعي بأن الله أمرنا، تعالى الله عما يصفون، بأن نجهد أنفسنا بعبادات

(155) سورة الأنعام: ١٥٩.
(156) فتح الباري ج١٣: ٢٩٢.

مخترعة لنفقد وعينا فنتجرأ عليه، ونقول "أنا الله، والله أنا"، وتدعي بأن الله جزء من كل شيء ومنها القاذورات، وأنه سبحانه وتعالى لا يستغني عن مخلوقاته، وتتجرأ بوصف العلاقة بين الخالق والمخلوق بكلمات مثل العشق والسكر، والخمارة، وأنهم يملكون بعض سلطات الله التي يتفرد بها، ويتهمون ملائكة الرحمن بالرقص عرايا... كما تدعي هذه المعتقدات بأن بعض أقطاب الصوفية لا يخشون الله وينازعونه بعض سلطاته أو ضمنوا رضاه.

وتبالغ بعض الكتب الصوفية في احترام محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن تخلط هذا بالإساءات إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام والادعاء بأنهم أقل مرتبة من أولياء الصوفية.

وكثير من آداب التعامل في كتب الصوفية متفقة مع التعاليم الإسلامية، ولكن ما ورد فيها من آداب المريد مع الشيخ يجعل للشيخ مكانة تشركه برب العالمين، وتجعله أرفع من نبي رب العالمين. فالطاعة العمياء للشيخ الذي يختاره له وحده، ولو كان الشيخ يزني، ويفعل ما يخالف الشرع والآداب الفطرية لأنه. ويقعون في شطحات صوفية تُخرجهم من الملة بصورة مؤكدة، وتجعلهم يرتكبون المحرمات جهرا ويظهرون عرايا... وذلك بحجة أنهم وصلوا درجات في الصوفية، جعلتهم فاقدي الوعي أو غير مكلفين، مثل المجانين والصبيان.

وتقول كتب الصوفية بضرورة علم الصوفية مع ما فيها من غموض وقصص خيالية وتقول بأفضلية المعارف الصوفية على العلوم الإسلامية الأخرى الواضحة التي أنزلها رب العالمين على نبيه محمد صلى اله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام.

ولا تخلوا الكتب الصوفية من الحث على أداء العبادات المفروضة، التي يقرها جمهور علماء المسلمين، ولكن تضيف إليها عبادات أو طقوسا يرفضها الكتاب والسنة النبوية الموثقة، وفهم جمهور علماء المسلمين لهما.

أخي المسلم وأختي المسلمة هل يشرِّفك الانتماء إلى هذه الفرقة

التي هذه كتبها وهذه صفات قياداتها الكبرى؟

أليس من الضروري أن يتأكد المسلم والمسلمة، من وقت لآخر، من الطريق الذي يمشيان فيه ليؤدي بهما إلى الجنة وينجيهما من النار، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه الموثقة، وفهم جمهور علماء المسلمين؟

إن القضية ليست قضية اختيار بين أشياء دنيوية أو أمور دنيوية لا علاقة لها بالحياة الآخرة، وإنما القضية قضية سعادة أبدية أو شقاء أبدي.

أسأل الله أن يجعلنا جميعا من المهتدين وليس من الضالين، ومن الفائزين في الحياة الدنيا والآخرة. آمين.

١٤٣٢/٠٤/٠٩هـ

قائمة المصادر

ابن عجيبة، إيقاظ الهمم شرح الحكم ط(---: ------ ١٣٣٦).
ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم (---:--- ١٩١٣هـ).
ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية (القاهرة: عالم الفكر --).
ابن عجيبة، كتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية. (---:---١٩١٣م).
ابن عربي، مجموعة الأحزاب (استنبول: --- ١٢٩٨هـ).
ابن عربي، محي الدين، الدرة البيضاء (القاهرة: مكتب العلوم العصرية ومطبعتها ١٩٢٣/١٣٤٣)
ابن عربي، محي الدين، فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي ط (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٠هـ).
ابن عربي، مواقع النجوم ط (---:--- ١٣٢٥هـ).
البالي، شرح فصوص الحكم ط (---:--- ١٣٠٩هـ).
البخاري، صحيح البخاري، تعليق وشرح أحمد بن على بن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم وتصحيح ومراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب وقصي محب الدين الخطيب (القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٧).
البصري، ابن عامر، تائية ابن عامر تحقيق المغربي ط(دمشق:--- ١٩٤٨م).
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز ١٤١٤هـ).
التادفي، محمد بن يحي، قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء القطب الرباني الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني، وبهامشه كتاب "فتوح الغيب" للشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٠هـ).
التجاني، محمد بن عبد الله بن حسنين، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني (بيروت: المكتبة الثقافية ---).
التيجاني، الفتوحات الالهية. ط(---: --- 1913م).
جمال الدين، جمال الدين بن علي، صلوات واستغاثات (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٣٩).
الجوسقي، السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر سيدي أحمد التجاني (بيروت: المكتبة الثقافية ---) ملحق بالتجاني، الفتح الرباني.
الجوسقي، النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التجانية (بيروت: المكتبة الثقافية ---) ملحق بالتجاني، الفتح الرباني.
الجيلاني، محي الدين عبد القادر فتوح الغيب" (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده

بمصر ١٣٥٠هـ)، حاشية التادفي.
حسن، رسالة الطريق الموصل إلى الله تعالى (منخا، مقاطعة تشنخي: ---، --)
حسن، نصيحة للمسلمين (منخا، مقاطعة تشنخي:---، ---)
الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون (--- دار المعرفة ---).
الدباغ،عبد العزي بن مسعود، الابريز، ط(—:— ١٢٩٢هـ)
الدمرداش، محمد، القول الفريد (---:--- ١٣٤٨).
دمشقية، عبد الرحمن، تهذيب الرفاعية (--: المؤلف ١٤١٢هـ).
دمشقية، عبد الرحمن، تهذيب كتاب النقشبندية: عرض وتحليل ط٢ (بيروت: المؤلف ١٤١٢هـ)
الدمياطي، ، السيد بكري المكي بن السيد محمد شطا، ، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء (القاهرة : مطبعة الحلبي ١٣٠٢).
رضوان، حسن، روض القلوب المستطاب (---: --- ١٣٢٢هـ).
السفرجلاني، محمد أمين أفندي ابن السيد محمد أفندي، شيخ الطريقة السفرجالانية، كتاب العقد الوحي شرح النظم الفريد (دمشق: مطبعة بدايع الفنون ٢٥ ربيع الآخر سنة ٣١٨ /١٨/أغسطس سنة ٣١٦).
السمان، محمد عبد الكريم القرشي المدني، رسالة النفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية (القاهرة: مطبعة الآداب والمؤيد ١٣٢٦).
السنهوتي، يس إبراهيم، الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية (---:----).
الشافعي، أبو القاسم علي ين الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري (بيروت: دار الفكر ١٩٩٥).
شرقاوي، أحمد، كتاب المورد الرحماني في علمي التصوف والتوحيد (القاهرة: المطبعة الخيرية ١٣٠٧).
الشعراني، عبد الوهاب، منح المنة في التمسك بالشريعة والسنة (القاهرة: المكتبة المحمودية التجارية ---).
الشنقيطي، الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمدية (بيروت: المكتبة الثقافية ---) ملحق بالتجاني، الفتح الرباني.
الصيادي، الكنز المطلسم (القاهرة: المطبعة العلمية ١٣١٣).
الصيادي، محمد أبو الهدى، ضوء الشمس في قول النبي بني الإسلام على خمس، تعليق عبد الحكيم عب الباسط (--: --- --).
الصيادي، محمد أبو الهدى، قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر (مصر: محمد أفندي مصطفى--).
الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، حمدي عبد الحميد السلفي ط٢ (الموصل: مكتبة الزهراء ١٤٠٤هـ).

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، كتاب الحوادث و البدع، تحقيق محمد الطالبي (تونس : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٥٩ م)

الطوسي، أبو نصر السراج، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (القاهرة: دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠/١٩٦٠.

عثمان، محمد، الهبات المقتبسة. ط ١٩٣٩م.

الدمياطي، السيد بكري المكي بن السيد محمد شطا، كاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء (القاهرة : مبعة الحلبي ١٣٠٢)

الشعراني، عبد الوهاب، منح المنة في التمسك بالشريعة والسنة (القاهرة: المكتبة المحمودية التجارية ـــــ)

المالكي، علي سالم المنوفي، ضوء البدور فيما ينفع الأحياء وأهل القبور (القاهرة: المكتبة المحمودية التجارية ١٣١٧هـ)

فضل باشا، أحمد بك، الأنوار النبوية والآثار الأحمدية (القسطنطينية: المطبعة اخيرية ١٣٢٩هـ)

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب (في علم التصوف) (بيروت: المكتة العصرية ١٤٢٦هـ)

عفيفي، أبو العلا، شرح فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٠ (١٩٨٠م)

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي، بداية الهداية في الآداب والأخلاق والتصوف (القاهرة: مكتبة محمود علي صبيح ---الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين (--- دار الريان للتراث-----)

الغزالي، محمد بن محمد أحمد الطوسي أو أبو حامد، متوفي في ٥٠٥ ، احياء علوم الدين (--: دار الريان للتراث---).

الفاروثي، أحمد، إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين (القاهرة: محمد أفندي ١٣٠٧هـ).

فضل باشا، أحمد بك، الأنوار النبوية والآثار الأحمدية (القسطنطينية: المطبعة الخيرية ---).

الفوني، عمر بن سعيد، كتاب رماح حزب الرحيم (--- : -- ١٣٤٥هـ)

القاسم، محمود عبد الرؤوف، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ط ٢ (مكة المكرمة: دار طيبة ١٤١٣هـ)

القاشاني، كشف الوجوه الغر على هامش شرح الديوان ط ١٣١٠هـ .

القرشي، عبد الرحمن، الروض النضير على هامش رياضة الأسماع (مصر: التمدن--).

القشيري، الرسالة القشيرية (بيروت: دار الكتاب العربي ---).

الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف. ط (١٩٣٣).

الكندري، مفتاح الفلاح. ط ١٣٣٢ هـ.

اللكنوي، محمد عبد الباقي الأنصاري، المنح المدنية في مختارات الصوفية (المدينة المنورة: المطبعة العلمية ربيع الأول ١٣٣٠).

المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠).

المجددي، محمد معصوم العمري النقشبندي، رسالة السع الأسرار في مدارج الأخيار (استانبول: شركت متبيه مطبعة سي ١٣٣١).

محمد بهاء الدين، النفحات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية. ط(---:--- ١٤١٣هـ)

المكي، أبي طالب، قوت القلوب ط ١٣٥١هـ

المناوي، الكواكب الدرية ط(---: --- ١٩٣٨م).

النبهاني، يوسف ابن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء (بيروت: دار صادر ---).

الوتري، روضة الناظرين (القاهرة: المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ).

الوكيل، عبد الرحمن، هذه هي الصوفية ط٤ (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٤هـ)

Mihr, Iskender Ali, This is Sufism (Carbondale, Il: Mihr Foundation.